75-960931

المورد

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الاعلام - الجمهورية العراقية - المجلد السادس - العدد الاول ١٣٩٧ - ١٩٧٧

معجم الشعراء في «لسان العرب»

بقلم الدكتور
ياسين صلاح الأيوبي

أ ـ المقدمة

١ ـ تعريف بطبيعة البحث

البحث في (لسان العرب) امر بالغ الصعوبة والتعقيد ، لا لشيء الا لكون هذا المعجم اوسع المعاجم العربية واطولها واشملها .

يبلغ حوالى ثمانية آلاف صفحة من القطع الكبير ، ناهيك عن انه قاموس لغوي ليس فيه ما يشدك الى القراءة من تشويق وامتاع واثارة ـ على نمط كتب السيرة والتاريخ والقصص، وسائر الكتب العلمية والفنية ـ فانت هنا في بحث مضنك عن اصول المعاني وجذور الكلام، واشاراته القديمة، الحي منها والممات .. ..

ولولا التنويع في الشروح ، والاستطرادات المؤدية الى الاخبار والطرائف المصاغة تارة نثرا ، وطورا شعرا ، لكان هذا المعجم بحق متحفا لغويا لا يؤمه الا رواد الآثار والباحثون عن بقاياها الدفينة.

وبالرغم من طول الزمن الذي قضيته في صحبة ابن منظور ، فانني لم اشعر كثيرا بالملل او التعب ، لان صاحب (اللسان) باحث وشاعر ، يعرف اسرار اللغة والتعبير ، يمزج الحقيقة بالخيال وجفاف الموضوعية وثقل الامانة العلمية ، بمتع النوادر والطرائف وغرائب الاشياء . فيذهب ما بك من فتور او ارهاق ، فتنسى الوقت الضائع في التعرف على الفاظ ومعان لا وجود لها اليوم ، ولا قيمة تذكر .

ومع ذلك ، وجدت من استغرب اقدامي على بحث هذا الموضوع ، بل جعل مني البعض فدائيا مغامرا (١) . وبنفس الشعور تقريبا كان ترحيب الدكتور اندره ميكال ـ الاستاذ المشرف على رسالتي ـ وبعض اساتذة البحث الادبي في جامعة السوربون، حيث تناهي الى سمعي عنهم ، انهم ظلوا اكثر من عشرين سنة ، ينتظرون من يتناول هذا الموضوع بالذات .

والحقيقة انني ـ وان كنت ممن يسعون الى احياء التراث العربي ، ويتذوقون البحث فيه ـ لم اكن صاحب الفكرة ، وانما هي من صديقي الدكتور اسعد علي الذي اشار علي قبيل السفر الى باريس في ايلول سنة ١٩٧٠ ، للالتحاق بجامعة السوربون، ان اتناول الشعر والشعراء في (لسان العرب) فهتفت للفكرة ، وحملتها في ضميري ، مع جملة مواضيع اخرى ، بينها واحد عن شعر المقاومة الفلسطينية ، وآخر عن ادب الريف في لبنان ...

و « معجم الشعراء في لسان العرب » ـ موضوع رسالتي ـ عبارة عن ثبت شامل لجميع الشعراء الذين استشهد بشعرهم ابن منظور ، مع حصر اشعارهم كل على حدة ، بحيث يتمكن اي قارىء او باحث ، من معرفة جميع الشواهد الشعرية الخاصة بالشاعر المبحوث عنه ، بسرعة ويسر وثقة ..

والشيء المدهش ان عدد الشعراء المستشهد بهم في (اللسان) قد بلغ رقما عاليا : قرابة الف ومائتي شاعر ، تراوحت كمية اشعارهم ما بين البيت الواحد ، والالف تقريبا .

---

(١) عنيت بذلك الدكتور جبور عبدالنور الذي راى ان مثل هذا الموضوع يتطلب مجموعة من الباحثين يتفرغون له .

٢ ـ الطريقة المتبعة .

لذلك عمدت الى تقسيم العمل الى قسمين :

قسم يتناول الشعراء من ذوي الخمسة ابيات وما فوق ،

وقسم يتناول فئة الشعراء مما دون ذلك .

فاثبت الجذور التي ورد فيها الشعر اثباتا ابجديا ، وقمت ما امكن ، بتعريف موجز لشعراء القسم الاول ، مهملا ذلك بالنسبة لشعراء القسم الثاني ، لا سيما وان معظم شعراء هذا القسم لا تتعدى ابياتهم الواحد او الاثنين ... اما لماذا قمت بتعريف قسم واهمال القسم الآخر ، فلان شعراء القسم الاول اكبر قيمة ، وادعى للتعرف اليهم من شعراء القسم الثاني الذين لا يعتبرون شعراء بقدر ما هم رجال نطقوا ببعض الابيات التي افاد منها اللغويون والنحاة ، اذ ان الروايات توحي ان البديهة الشعرية سمة عامة ، يكاد يتصف بها كل الجاهليين وكثير من الاسلاميين .. فلا يمكن والحالة هذه ان تجد تعريفا لكل هؤلاء الناس .

هذا من جهة . ومن جهة ثانية . فقد ركزت في تعريفي لشعراء القسم الاول على المغمورين ، القليلي الشهرة ، الذين لا تجد لهم ذكرا الا في بعض المصادر القديمة . اما الشعراء المشهورون ، فقد اغفلت التعريف بهم ، لذيوع اخبارهم وسهولة التعرف اليهم في مختلف الكتب الادبية .

وعمدت ايضا ـ من حيث الترتيب المعجمي ـ الى اثبات اسماء الشعراء المشهورين ، وفقا لالقابهم او كناهم في الغالب . بحذف الاب ـ او الابن ـ مثال ذلك : ابن احمر . جعلته في الترتيب الابجدي: (احمر) . لا عمرو بن احمر ، كما هو عليه اسمه الاول ، لانه مشهور باسم ابن احمر ، وكذلك اورده ابن منظور .

ومثله ابن مقبل : جعلته في الترتيب الابجدي (مقبل) لا تميم بن ابي بن مقبل ـ وهكذا اسماء : الراعي ـ والمهلهل ـ والقطامي ـ والمتلمس ، وغيرهم ممن عرفوا بالقابهم وكناهم اكثر من اسمائهم الحقيقية ...

واعتقد ان هذه الطريقة ايسر تناولا من طريقة اصحاب المعاجم الادبية الذين اعتمدوا على ترتيب الاسم الاول الذي لا يعرفه الا الباحث المتخصص . اما اسماء الشعراء المغمورين فقد اعتمدت في ترتيبهم على الاسم الاول وحسب .

وبالاختصار ، ان القارىء الذي يود معرفة شاعر ما ، مطالب بجهد يسير هو ـ اذا كان الشاعر مشهورا ، ومن ذوي الالقاب ـ التفتيش عنه في ابجدية اللقب ، والا ، فبالاسم الاول . واذا لم يعثر عليه لا هنا ولا هناك ، فمعنى ذلك انه غير وارد اصلا في (لسان العرب) .

تلك هي الطريقة التي اتبعتها في « معجمي » ، راميا من ورائها الى افادة القارىء وتيسير البحث له . وانا لا ادعي لها التفوق والافضلية ، بل محاولة مبسطة للخروج على مألوف سابق ، جل ما فيه الحفاظ على اصولية وثائقية اكثر منها عملية . فقلما يهمني ما اذا كان ابو صخر الهذلي يدعى : عبدالله بن مسلم ـ او ذو الرمة يدعى : غيلان بن عقبة ... وبالتالي فلا ارغم على البحث عنه بالاسم الاول المنسي . وانما ابحث عنه بالاسم المشهور .

٣ ـ دوافع البحث .

لا شك ان الدافع الاكبر كان الاطلاع المباشر على الثروة الضخمة التي تمتلكها اللغة العربية : مفردات ومعاني وتاريخا وحضارة ... وهذا لعمري ، اكبر كسب يحرزه مثقف عربي يهتم بشؤون امته وآدابها وحضارتها .. فقد اتيح لي من خلال هذا الاطلاع اللغوي الثرّ ان اتعرف الى كثير من خصائص العربية وتاريخها وفقهها ، وما ارتبط بها من علوم اخرى ، بسطتها في فقرة لاحقة .

والدافع الثاني هو الاطلاع ايضا ـ عن كثب ـ على دور الشعر في بلورة الالفاظ العربية وتركيبها ، وتطورها عبر العصور والبيئات ... واذا كان لي من غاية اخرى ، فهي الاسهام في خدمة اللغة العربية وعلومها ـ في المستقبل القريب على الاقل ـ وتفتيح الاذهان والذوائق الادبية على اقتناء المعاجم اللغوية والمراجع الادبية الكبيرة ، لا على اساس ما يسمى بالرجوع المعجمي (Consultation) وحسب ، بل قراءتها واستجماع فوائدها وتعميمها ...

فضلا عن هدف آخر لا يقل اهمية ، هو فتح الابواب امام دراسات او رسائل جامعية وخاصة (لسان العرب) الذي يستوعب عددا كبيرا من الموضوعات الجامعية ، سواء في الادب ، او التاريخ او اللغة او الفقه بوجهيه اللغوي والديني ، او القرآن والحديث ...

وهي امور كثيرة النفع والتأثير ، لارتباطها الوثيق بصلب التراث ، وابراز محاسنه وجعلها تتكيف والزمان الحاضر الذي كثرت فيه الدعوات الى رفض التراث والنظر اليه باستخاف وتشكيك، والى اعتباره حضارة تالدة ، لم يعد لها شأن او

فائدة . وما اظنني بحاجةالىرد هذا الادعاء واعتباره لونا من الوان التنكر لاصالة الامة ، وحقيقة وجودها وتكوينها .

هذا لا يعني ان عملا كهذا ، غير محفوف بالصعاب والمخاطر ، بل قد يكون قائما عليها معا . وطبيعي ان يكون كذلك ، مادام معظم الرواةومؤرخي الادب ، لم يتصفوا بالدقة العلمية وبالموضوعية التي تفرض عليهم الوضوح والاختصار ، او التوسع ، فيقعون في نقيض ذلك :

يروون شعرا لغير صاحبه ، او لا يسمونه ، او يبترون الشاهد ... كما يغفلون اشياء هامة وضرورية ويتجاوزونها الى غيرها مما لا قيمة له ، او يعيدون ذكر اشياء كانوا قد ذكروها بطريقة اخرى ، ولكاتب او شاعر آخرين .. كل ذلك وغيره ، يشتت الفكر ويسوقه في بعض الاحيان الى ما يشبه الدوامة . وهو عين ما مررت به في دراستي هذه ، حيث تعرضت لكثير من الحيرة والتفكير عند النظر في بعض الحالات التي لم يكن ابن منظور نفسه يعرف كنهها ، فضلا عن اهماله لما ينبغي ذكره ، وهو قادر على التنبه اكثر من غيره ..

ومنيتي ـ وانا انهي الكلام في هذه المقدمة ـ ان تكون هذه الرسالة قد اسهمت فعلا في الافادة من معجم اللغة العربية الاكبر ، فيسرت لدارسي الشعر القديم بعض ما يحتاجونه من شواهد الشعراء المغمورين الذين لم تجمع اشعارهم بعد ، او لا يعرف عن اخبارهم واشعارهم شيء ، فيجدون في « معجمي » هذا ـ خلال دقائق او سويعات ـ ما كان حصيلة سنوات خمس امضيتها في القراءة والتدوين والتبويب وما شابه ، راجيا في نفس الوقت تجاوز بعض الاخطاء او التقصيرات التي يلحظها القارىء .

وللباري القدير كل الحمدوالتقدير . انه نعم المولى ونعم النصير .

اول تموز سنة ١٩٧٥ .

ب ـ المدخل

١ ـ ابن منظور

احد الاعلام الذين جعلوا من عصرهم المظلم ، من حيث المناخ النفسي والاجتماعي والابداعي ، الفترة التي صمد فيها العقل العربي في وجه الغزاة المغوليين وغيرهم من الشعوب الغازية المتعطشة للدماء والدمار ، وواصل فعله في ضمير الامة العربية ، فاتجه نحو الاسلاف وصنائعهم النفيسة في شتى الحقول والميادين ، فاعاد ترتيبهاواخراجها، وهيأ للمخبوء منها ، المنتشر في ثنايا الكتب والسير والاخبار ، صورة متكاملة ذات فاعلية ضاربة في اعماق المدارك الانسانية وحواسها وميولها ... فكانت منجزات ومصنفات من نوع آخر ، ان فاتها الابداع والخلق ، فقد نعمت بخصوبة وفضائل وافرة ، اقلها الحفاظ السليم على تراث العربية وإغناؤه وايصاله الى الاجيال اللاحقة كاحسن ما يقدم لها من غذاء النفوس ونشار القرائح (٢)

وابن منظور واحد من حملة الزاد ، وسدنة اللغة والادب ، اسمه جمال‌الدين ، ابو الفضل ، محمد بن مكرم بن علي بن احمد ؛ من ولد رويفع بن ثابت الانصاري ؛ المصري المولد والنشأة ، والوفاة ، المعروف بابن منظور نسبة الى جده السابع(٣) .

ولد في مصر سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م . وخدم في ديوان الانشاء . وتتلمذ على ابن المقير (٤) ومرتضى ابن حاتم وعبدالرحيم بن الطفيل . وغيرهم . ثم ولي قضاء طرابلس الغرب ، ثم عاد الى مصر ليعمل من جديد ؛ فينشيء ويصنف ويدون عشرات بل مئات الكتب .

وقد عُمّر ، وعمي في آخر عمره وتوفي في مصر سنة ٧١١هـ/١٣١١م عن واحد وثمانين عاما هجريا .

من خلائقة الصبر ، والتواضع والتدين المعتدل . على تشيع بعيد عن التطرف ، لطيف في كلامه على الآخرين ، مكرم لمن كان ذا علم وحكم وتقوى ، حتى الذين يمثلون خطا مخالفا لعقيدته الدينية : عنيت بذلك معاوية بن ابي سفيان الذي كثيرا ما ذكره بلطف واحسان (٥) لا بل استرضى الله عليه (٦) مما يدل على نفس رضية ، لم تعرف غير الحب والتسامح .. كل ذلك على اعتداد بدينه، **ويعربية لسانه ، اعتدادا جعله ينبري باحساس اصيل الى مواجهة عصره وابناء عصره الذين تفاضوا عن لغتهم (وتفاصحوا بغير اللغة العربية ، الى حد**

---

(٢) راجع في هذا الصدد ، وبشيء من التوسع ، كتاب : « صفي الدين الحلي » لكاتب هذه الرسالة . ص ص٢٥ـ٢٧ .

(٣) لقد ادرج ابن منظور نفسه لنسبه ابتداء من اسمه الاول حتى اسم قحطان . جد العرب (راجع لسان العرب : مادة « جرب ») .

(٤) وقيل : المقبر ـ بالباء ـ

(٥) لسان العرب : (صفن) .

(٦) لسان العرب : ايا .

اعتبار النطق بها من المعايب المعدودة) (٧) فجمع معجمه العظيم وسماه لسان العرب ، تكريما للغته وتخليدا ، وتقربا من خالقه الجليل .

ولم يكتف بذلك ، بل عمد الى معظم كتب الادب المطولة ، فاختصرها ، منها : « الاغاني » وسماه : « مختار الاغاني في الاخبار والتهاني » وقد رتبه على حروف الهجاء ، على حين لم يراع فيه ابو الفرج ذلك ، بل رتبه وفق الاصوات . وكتاب « زهر الآداب وثمر الالباب » لابي اسحق الحصري القيرواني ، وكتاب « يتيمة الدهر » لابي منصور الثعالبي و « نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة » لابي علي التنوخي ، « وتاريخ مدينة دمشق » لابن عساكر ، وهو كتاب كبير يقع في ٤٨ مجلدا ، «وصفوة الصفوة » لابن الجوزي ، « وفقرات ابن البيطار » وهو كتاب في الطب ، جمع فيه مؤلفه مفردات الادوية والاغذية . « وفصل الخطاب » لاحمد بن يوسف التيفاشي ، اختصره بكتاب سماه : « سرور النفس بمدارك الحواس الخمس » ، وكتاب : « الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة » وسماه : « لطائف الذخيرة » (٨) .

بالاضافة الى كتب اخرى جمعها من هنا وهناك ، وعلى راسها كتاباه : « اخبار ابي نواس » « ولسان العرب » ـ ويعتبر الكتاب الاول من اوفى المراجع لسيرة ابي نواس ونوادره وشعره ومجونه .

واخبر الصفدي ـ نقلا عن قطب الدين ، نجل ابن منظور ـ انه ترك بخط يده خمسمائة مجلدة . وهذا ان دل على شيء فعلى سعة علم الرجل وتحصيله وشغفه بالتراث .

ولم يتوصل ابن منظور الى هذا المقام بالموهبة وحدها . فقد كان للجو العائلي ولوالده جلال الدين، فضل كبير في ذلك ـ كما يشير هو في مقدمة مختصره « نثار الازهار » « وكنت ايام الوالد ـ رحمه الله ـ ارى تردد الفضلاء اليه وتهافت الادباء عليه . ورايت الشيخ شرف الدين احمد بن يوسف التيفاشي في جملتهم ، وانا في سن الطفولة ، لا ادري ما يقولونه(٩) .. »

(٧) راجع مقدمة (لسان العرب) ـ الصفحة الاخيرة ـ

(٨) افردت مجلة « تراث الانسانية » المجلد الاول ـ (ص ص ٢٥٣-٢٦٧) فصلا مستقلا عن لسان العرب ، فيه الكثير من المعلومات المفصلة المفيدة .

وراجع : جرجي زيدان : « تاريخ آداب اللغة العربية » ٢/١٤٩-١٥٠ حيث تجد تعريفا اوسع لبعض هذه الكتب المختصرة ...

(٩) « تراث الانسانية » ص ٢٥٤ .

وليس من شك في ان نشأته كانت عامرة بالعلم والثقافة ، دفعته الى اكتساب الكثير من المعارف في زمن عزت فيه منافذ العلم على اصحابها ومريديها .

والشيء اللافت للنظر هو اغفال ابن منظور ، ذكر شيوخه الذين اخذ عنهم ، كما ان الكتب التي اقدم على اختصارها ، لم يول اصحابها ، التقدير اللازم ، فيثني عليهم تارة ، ويخطئهم تارة . ويفهم من تعليقاته انه يتهمهم بالقصور والسطحية ، وقلة الفائدة . من ذلك ، ذكره للاسباب التي حملته على اختصار كتاب التيفاشي ، حيث يقول :

« ورايته قد جمع فيه اشياء لم يقصد بها الا تكبير حجم الكتاب ، ولم يراع فيها التكرار ، ولا ما تمجه اسماع ذوي الالباب ... فاخذت زُبْدَه ، ورميت زَبَدَه واوردت مكرره ـ صافية ـ وتركت مكرره ـ من التكرار (١٠) ـ » وبنفس المعنى تقريبا جاءت تعليقاته ، وتعليلاته لبا في الكتب المختصرة الاخرى .

٢ ـ كلمة في نثر ابن منظور وشعره .

اما نثره ، فنتاج فني جميل ، مسبوك بعناية، منخول ، مصقول ، يهيمن عليه البديع ، كمعظم نثر تلك الحقبة . ولكنه بديع خفيف الظل رقيق الحاشية ، لم يقصد لذاته ، بقدر ما اريد به الافادة والرتابة الصوتية معا . ويختفي البديع تماما في شروح الالفاظ وتعليل معانيها في طيات (اللسان) . كذلك هي الحال في كتابة « اخبار ابي نواس (١١) » ويعود الفضل في طواعية نثره وجماله ، لوظيفتي الانشاء والقضاء اللتين شغلهما معظم حياته ، وخاصة الاولى التي كانت تفرض على صاحبها العمق في الثقافة ، والمراس الطويل في الكتابة ، واصولا شتى من لياقة ومنطق وتبويب وتهذيب ..

ولا حاجة لي بالاستشهاد ، فمقدمة كتبه المختصرة ، ولا سيما تلك التي تتصدر (لسان العرب) ميسورة الاطلاع ، غنية الدلالة على ما اقول .

اما شعره ، فقليل جدا ، اذا ما اعتمدنا على المراجع التي اثبتته : مجموعة ابيات ومقاطع ، لا تصلح لدراسة ولا لحكم ، وان كانت تشير الى قريحة مقبولة ولغة عذبة رقيقة .

(١٠) تراث الانسانية ـ المجلد الاول . ص ٢٥٥ .

(١١) راجع دائرة المعارف فؤاد افرام البستاني ٤/٨٤ وفيها نموذج لنثر ابن منظور من خلال تقديمه لكتابه : (اخبار ابي نواس) .

ومن المستبعد الا يكون ابن منظور شاعرا وهو الذي حفظ وروى عشرات الآلاف من الاشعار التي يشتمل عليها (اللسان) .

ومن شعره ، ما انفرد به الصفدي في كتابه « اعيان العصر » :

وفاتر الطرف ممشوق القوام به
فعل الأسنة والهندية القضب
في حسنه الفرد اوصاف مركّبة
الخلق للترك ، والاخلاق للعرب

ومما اورده ابن شاكر الكتبي :

الناس قد اثموا فينا بظنهم
وصدّقوا بالذي ادري وتدرينا
ماذا يضرك في تصديق قولهم
بان نحقق ما فينا يظنونا ؟
حملي وحملك ذنبا واحدا ثقة
بالعفو اجمل من اثم الورى فينا

وهناك ابيات اخرى لا تروي ظما القارىء ، لقلتها ، تجمع في صياغتها بين الطبع والتكلف ، وفيها من الاقتباس الشيء الكثير كما يؤكد ذلك كل من الصفدي والكتبي وغيرهما .

ومهما يكن من امر ، فان الذي يعول عليه في ادب ابن منظور ، ومنزلته لا نثره ، ولا شعره ، ولا حتى كتبه المختصرة التي لم يصلنا منها الا القليل جدا ، وانما هو سِفره العظيم : (لسان العرب) الذي لولاه لما كانت لصاحبه لا الشهرة ، ولا المقام ولا الاهتمام .. (فاللسان) في كفة ، وباقي نتاجه ونشاطه في كفة مقابلة .

ما هو هذا الكتاب ، ما هي اهميته ، ومافضل ابن منظور فيه ؟؟

٣ ـ لسان العرب

يستدل من ابن منظور نفسه في تقديمه لمعجمه، ومن العلماء والباحثين الذين ارخوا لهذا المعجم ودرسوه ونوهوا عنه في احاديثهم ، ان (لسان العرب) معجم جامع لخمسة معاجم هي على التوالي: « تهذيب اللغة » للازهري ـ « المحكم » لابن سيدة « والصحاح » للجوهري « وحاشية الصحاح » لابن برّي « والنهاية » لابن الاثير . لكل منها محاسنه ومساوئه . جمع منها ابن منظور المحاسن ، واهمل المساوىء ، على حد ما يؤكد هو نفسه في مقدمة (اللسان) .

ولكي نعرف منهج (اللسان) ومحتواه ، والمستوى الذي بلغه ، لابد من تعريف موجز لكل من المعاجم الخمسة المذكورة اعلاه .

١ ـ وضع الازهري ـ ابو منصور محمد بن احمد (٢٨٢هـ/٨٩٥م ـ ٣٧٠هـ/٩٨٠م) معجمه « تهذيب اللغة » على غرار معجم (العين) للخليل ابن احمد الفراهيدي . اي وفقا لمخارج الحروف : العين فالحاء فالهاء .. وهكذا .. ، معتمدا على السماع والرواية ، وعلى تهذيب وتنخيل واختيار . وهو معجم ضخم يقع في خمسة عشر مجلدا من القطع الكبير(١٢) .

٢ ـ كذلك فعل تقريبا ابن سيدة ـ ابو الحسن علي بن اسماعيل الاندلسي ـ وكان ضريرا ، (٣٩٨هـ ـ ٤٥٨هـ/١٠٠٧م ـ ١٠٦٥م) ـ في معجمه «المحكم»، وهو مصنف على منهج الخليل والازهري ، لكنه تحرر عنهما من حيث المواضيع ، فاضاف اشياء جديدة ، وحذف وصحح ما وجده مصحفا ومحرفا ومغلوطا .

٣ ـ اما الجوهري ـ ابو نصر اسماعيل بن حماد (٣٣٢هـ ـ ٤٠٠هـ/٩٤٣م ـ ١٠٠٩م) ـ فقد خط منهجا جديدا ، فاعتمد في « صحاحه » على اواخر الحروف ، بعد تجريد الكلمة من الزوائد ، جاعلا من كل حرف بابا ، مقسما كل باب الى فصول بحسب الحرف الاول من الكلمة ..

٤ ـ وقد اقدم ابن بري ـ ابو محمد عبدالله ابن ابي الوحش المولود بمصر والمتوفى فيها (٤٩٩هـ ـ ٥٨٧هـ/١١٠٥م ـ ١١٩١م) ـ على انشاء كتاب ملحق (بالصحاح) سماه : « الحواشي على صحاح الجوهري » كناية عن تتبع لسقطات الجوهري ، واحصاء لاخطائه . وهو وان لم يؤلف معجما قائما بذاته ، فانه الكتاب الاكثر ثقة بالنسبة لابن منظور .

٥ ـ بقي المعجم الخامس وهو كتاب « النهاية في غريب الحديث » لابن الاثير ـ مجدالدين ابو السعادات بن محمد الجزري (+٦٠٦هـ/١٢٠٩م) (١٣) وقد رتبه مؤلفه على حروف الهجاء ، وهي المرة الاولى التي يحصل فيها مثل هذا التاليف ، بعد (أساس البلاغة) للزمخشري ...

---

(١٢) راجع كتاب «مصادر التراث العربي» للدكتور عمر الدقاق. تجد فيه تعريفا وافيا لكثير من مراجع اللغة والادب .

(١٣) جمل د . عبدالقادر طليمات . ولادته (سنة ٥٤٤هـ ـ ١١٤٩م ووفاته ٦٠٨هـ ـ ١٢١١م) راجع : « ابن الاثير الجزري المؤرخ » سلسلة اعلام العرب . عدد ٨٣ : ص ١٤ـ١٥ .

لكنه ـ اي ابن الاثير ـ « لم يراع وضع الكلمات في مواضعها ، ولا راعى زائد حروفها» (١٤).

تلك هي المعاجم التي بنى عليها ابن منظور (لسانه) ، قدم واخر ، حذف واضاف ، اختصر واسهب ، دون ان يضيف الى الاصل او يسيء النقل، او يدعي لنفسه فعلة ، سوى ترتيبه وتبويبه وتنسيقه وتوضيحه ، وغير ذلك مما ذكره هو نفسه في المقدمة . على النحو التالي : (وجدت كلا من معجمي الازهري وابن سيدة ، اجمل كتب اللغة واكملها . فهما من امهات كتب اللغة ، وما عداهما ثنيات للطريق . غير ان كلا منهما مطلب عسر المهلك، ومنهل وعر المسلك . وليس لذلك سبب الا سوء الترتيب وتخليط التفصيل والتبويب . ووجدت صحاح الجوهري احسن ترتيبا واسهل متناولا واقرب مأخذا ، لكنه مع ذلك قد صحف وحرّف ، فاتيح له الشيخ ابو محمد بن بري ، فتتبع ما فيه واملى عليه اماليه ، مخرجا لسقطاته مؤرخا لغلطاته ...

ورايت ابا السعادات ابن الاثير الجزري قد عني بآيات القرآن واحاديث النبي ، وجاوز في الجودة حد الغاية ، غير انه لم يضع الكلمات في محلها ولا راعى زائد حروفها من اصلها ..) (١٥)

ازاء هذه المجاميع اللغوية ، وقف ابن منظور (يستخير الله في جمع كتابه المبارك ، فقصد الى اصولها ، لم يخرج فيه عنها،ورتبه ترتيب (الصحاح) في الابواب والفصول ، ووشحه بجليل الاخبار وجميل الآثار والامثال والاشعار ، فجاء كتابه واضح المنهج سهل المسلك ، جمع من اللغات والشواهد والادلة ، ما لم يجمع مثله . فصارت الفوائد في المعاجم السابقة مفرّقة ، فجمع في كتابه ما تفرق ، وصار هو بمنزلة الاصل ، وتلك بمنزلة الفروع ، فجاء وفق البغية ، وفوق المنية ، بديع الاتقان صحيح الاركان) (١٦) .

ومع ذلك فان ابن منظور ، رغم ما قام به من تعديلات واضافات وترتيبات ، لا يدعي لنفسه شيئا جديدا قام به او توصل اليه ، فيقول :

« ليس لي في هذا الكتاب فضيلة امت بها ، ولا وسيلة اتمسك بسببها ، سوى اني جمعت فيه ما تفرق في تلك الكتب العلوم ، وبسطت القول ، ولم اشبع باليسير ، وطالب العلم منهم . فمن وقف فيه على صواب او زلل او صحة او خلل ، فعهدته على المصنف الاول وحمده وذمه لاصله الذي عليه المعوّل ، لانني نقلت من كل اصل مضمونه ولم ابدل منه شيئا .. » (١٧)

تلك كانت باختصار ، القسمات العامة (للسان) ابن منظور ظهر فيها دوره ووعيه العميق لما يفعل ، وامانته لما ينقل . ابقى على الاصل ، وتصرف في الشكل . من الاصول حفاظه على منهج الجوهري في اعتماد اواخر الكلم ، وابقاؤه على جميع الفصول والمواد ، بما فيها باب الالف اللينة ، المبني على الفات غير منقلبات من شيء ...

ومن تصرفه في الشكل ، نقله لفصل خاص بالحروف المقطعة التي وردت في أوائل سور القرآن، والذي جعله الازهري في آخر (تهذيبه) الى اول (اللسان) فصدره بها لفائدتين ذكرهما بتفصيل : التبرك بكلام الله ، وضمان الاطلاع عليها والافادة منها ، لان العادة ان يطالع القارىء أول الكتاب لا آخره .

وعلى الجملة ، فان (لسان العرب) يتضمن مقدمة شرح فيها الاسباب والغاية التي دفعته الى تصنيف معجمه ، وعرضا لمنهجه بالنسبة لباقي المعاجم التي اخذ عنها ، ثم بابا قصيرا في (تفسير الحروف المقطعة) وهو يشتمل على بضع صفحات ، ثم بابا قصيرا ايضا في (القاب الحروف وطبائعها وخواصها) (١٨) انفرد به عن المعاجم التي استقى منها . وقد علل خروجه من شرطه ، الذي سار عليه في كتابه ، تعليلا لطيفا ومقبولا .

وبعد ذلك تبدأ ابواب المعجم ، مبتدئة بحرف الهمزة او باب الهمزة ، ومنتهية بباب الالف اللينة ـ وهو نفس عرض الجوهري (لصحاحه) ، لا يختلف عنه الا في ضخامة الابواب وشروحها المسهبة .

وقد تم تأليف (لسان العرب) ليلة الاثنين في الثاني والعشرين من شهر ذي الحجة سنة ٦٨٩هـ/ ٢٧ كانون الاول سنة ١٢٩٠م متضمنا حوالى ثمانين

---

(١٤) ابن منظور : مقدمة اللسان . وتجدر الاشارة هنا الى ان احمد فارس الشدياق قد اضاف الى المعاجم السابقة معجم (الجمهرة) لابن دريد ، وهو ما لم يصرح به ابن منظور وان كان اسم ابن دريد قد ورد كثيرا في شروحاته ... (راجع مقدمة الطبعة الاولى : دار صادر دار بيروت) .

(١٥) ابن منظور : مقدمة (اللسان) ـ باختصار ـ

(١٦) ابن منظور : مقدمة (اللسان) ـ باختصار ـ

(١٧) المصدر السابق .

(١٨) وفيها يتحدث عن الحروف المجهورة والمهموسة،والحروف الصحاح،والجوف ومخارج الحروف حسبما رتبه الخليل ابن احمد ... ثم يشرح خواص الحروف ، ويتوقف مليا عند قدسية الحروف ، وجهل اكثر الناس لدلالتها وفعلها الخارق اذا هي مازجت بعض الكواكب المقدسة .

ألف كلمة ، اي بزيادة عشرين الفا على (القاموس) للفيروز آبادي ، واربعين الفا على (الصحـــاح) للجوهري[١٩] وهو رقم قياسي ، لا تكاد تجد لـه معادلا الا في الموسوعات الحديثة الكبيرة الحجـم ، بسبب تناولها بالشرح والتعريف ، كل فن ومطلب .

٤ ــ ملاحظات لابد منها

لئن كان ابن منظور قد وضع لنفسه منهجـا علميا يقوم على الامانة وعدم التصرف في مضمون المعاجم التي جمع منها (لسانه) ، فانني قـــد **لاحظت ، وانا اطالع صفحاته انه قد خرج عن هذا المنهج ــ او الالتزام ــ خروجا ، لا هـــو تغيير في المضمون ، ولا هو امانة في الحفاظ عليه . انه نوع مما اسميه : « الشخصية المنظورية » التي لم يتمكن صاحبها من ايقاف تدخلها ، وتسربها قوية بعض الشيء ، من حين لآخر ...**

وتراوح مظاهر هذه الشخصية بين الاستعانة بكتب نحوية وصرفية كثيرة ، وابداء الملاحظـــات الاستحسانية او الاستهجانية على هذا الراي او ذاك من اصحاب المعاجم الخمسة ، وغيرهم من الرواة والنحـــاة .

ومن امثلة ذلك ما يلي :

١ ــ عدم الاخذ بتفسير الجوهـري لمعنـى (وقبت الشمس : اي دخلت موضعها) يتدخل ابن منظور فيقول : « في قول الجوهري (دخلـت موضعها) تجوّز في اللفظ ، فانها لا موضع لهـــا تدخله . » [٢٠]

٢ ــ اقدامه على ترجمة (تبت) التي لم يترجم عليها احد من مصنفي الاصول ، وقد فعل ذلـك مراعاة لابن بري ، وهو يرد على الجوهري الذي جعل (تابوت) من (توب) والاصح جعلها في (تبت) لان التاء فيها اصلية [٢١] .

٣ ــ رده على الاصمعي الذي يرى ان لفظـة (حاجة . ج : حوائج) من الالفاظ المولدة ــ فاعترض عليه ابن منظور ، وجاء بخمسة عشر شاهدا ، ما بين حديث وشعر قديم ، تؤكـد اصالـــة اللفظـــة المذكورة [٢٢] .

٤ ــ استخفافه براي ابن الاعرابي الذي جعل (غدايا : جمع غدية) . قال : « ولا تلتفتن الى مـا حكاه ابن الاعرابي من ان الغدايا جمع غدية ، فانه لم يقله احد غيره . » [٢٣] .

٥ ــ استهجانه للازهري ، وهو ينقل حديثـا نبويا عن احد الاسانيد جاعلا قول النبي قريبا مما قاله السند ابو سعيد : « قال محمد بن المكرم : **انظر الى ما في هذا الكلام من عدم الاحتفال بالنطق ، وقلة المبالاة باطلاق اللفظ . وهو لو قال ان تفسير ابي سعيد قريب مما فسره النبي (صلعم) كان فيه ما فيه ، فلا سيما والقول بالعكس ...** » [٢٤]

٦ ــ واخيرا اسوق هذا المثل لابين صحـة ما لحظته اعلاه ، من تدخل ابن منظـور ، وبـروز شخصيته من بين عشرات الشخصيات العلميـــة الذين اخذ عنهم ، وهو تعليقه على كلام الازهري ، وتسفيهه له ، لما ابداه اثناء الكلام على (العمرين) ــ عمر بن الخطاب ، وابي بكر الصديق ــ « من ان **فيه افتئات على عمر ، رضي الله عنه ، وهو قوله :** العرب تفعل هذا ، فيبداون بالاخس ... » فيقول ابن منظور بالحرف :

« قال محمد بن المكرم : هذا الكلام من الازهري فيه افتئات على عمر ، رضي الله عنه ، وهو قوله : ان العرب يبداون بالاخس ، ولقد كان له غنية عن اطلاق هذا اللفظ الذي لا يليق بجلالة هذا الموضع المتشرف بهذين الاسمين الكريمين ، في مثال مضروب لعمر ، رضي الله عنه . وكان قوله : غلّب عمر لانه اخف الاسمين ، يكفيه ، ولا يتعرض الى هجنة هذه العبارة ... وكان قياد الالفاظ بيده ، وكان يمكنه ان يقول ان العرب يقدمون المفضول او يؤخـرون الافضل ... فان اتيانه بها دل على قلة مبالاتـه بما يطلقه من الالفاظ في حق الصحابة ، رضي الله عنهم ... » [٢٥]

هذه نماذج من شخصية ابن منظور ، ونصيبه فيما ينقله ويجمعه ، مما يدل بوضوح انه لم يكن مجرد ناقل او جامع ، بل كان يتدخل في الموضـع المناسب ، فيبقي على الكلام المنقول كما هو ، ولكنه لا يكتّف يديه امام الاغاليط والتجاوزات .. [٢٦]

---

(١٩) دائرة المعارف للبستاني ٤/٥ .
(٢٠) لسان العرب : (وقب)
(٢١) لسان العرب : (تبت)
(٢٢) لسان العرب : (حوج)
(٢٣) لسان العرب : (رشد)
(٢٤) لسان العرب : (نجد)
(٢٥) لسان العرب : (عمر)
(٢٦) من اجل الاطلاع على المزيد من هذه الامثلـة ، اكتفي بالاشارة الى المواضع التالية من (اللسان) : بحر ــ حوز زوع ــ علق ــ شرك ــ بسمل ــ سوا ــ وغيرهـا وغيرهـا ..

٥ ـ المادة الشعرية

يشتمل (لسان العرب) على اكبر مجموعة شعرية . احتوتها المعاجم اللغوية العربية ، حيث بلغت اثنين وثلاثين الف بيت من الشعر تقريبا .

من هذه الكمية واحد وعشرون الفا ، اشار ابن منظور الى اسماء اصحابها ، واحد عشر الفا اغفل ذكر الاسماء .

وقد تبين لي ان ابن منظور لم يلزم نفسه عناء التحقق من هوية الشعراء اثناء ايراد شواهده ، فيذكر الشاهد ويذكر له اسمين او اكثر ، تاركا للقارىء عناء التحقق وحده ، مع انه اقدر من غيره على معرفة اصحاب الشواهد وهو الذي اطلع على معظم مصادر الشعر ، وصنف مئات الكتب الادبية واللغوية .

ولما كان عملي محصورا في الشعراء المذكورين في اللسان . فقد انصب جهدي على الاشعار التي ذكر اصحابها ، مهملا القسم الآخر لانه عمل قائم بذاته يستحق ان تحضر من اجله رسالة جامعية اخرى .

وقد تراوحت الكمية الشعرية التي ذكر اصحابها ما بين جاهلي ، ومخضرم واسلامي واموي، ونسبة ضئيلة للعصر العباسي ...

وبصيغة حسابية افضل ، ومن خلال ثلاثمائة شاعر توصلت الى معرفة عصورهم الادبية ، جاءت نسبة الانتماء الزمني كما يلي :

٤٠٪ جاهلي
١٠٪ مخضرم
١٥٪ اسلامي
٣٠٪ اموي
٠٥٪ عباسي

وبنسبة اعم ، يمكن اعتبار نصف الشعراء جاهليين ، وما يقارب النصف ايضا ، اسلاميين امويين .

واذا استثنينا نسبة الـ ٥٪ الخاصة بالشعراء العباسيين ، فان مصادر اللغة العربية وجذورها تعود ـ بالنسبة للشعر وحده ـ الى العصرين الجاهلي والاسلامي ، وان هذه اللغة رغم تدافع العصور ، ظلت مرتبطة بماضيها وجذورها الجاهلية والاسلامية ، ارتباطا بعيد المدى ، جعل النحاة واللغويين والمؤلفين ، لا يلتفتون كثيرا الى القدر الكبير الذي حصلته اللغة في العصور العباسية حيث النقل والترجمة والاقتباس وشيوع افانين الثقافة الاعجمية في جميع الحقول والدرجات ، شيوعا جعل العرب يقبلون على استيعات تلك الثقافات استيعابا سليما ادى بهم الى عطاء ليس مماثلا وحسب ، بل متفوق ، وصل حد التصدير والانارة لجميع الامم والشعوب المعاصرة لهم آنذاك .

وهذه ملاحظة بارزة لم اشا تجاوزها ، او اغفالها ، لانها تعني جملة اشياء : منها ، قدرة اللغة على الجمع بين الاصالة بمعناها التاريخي ، والتطور بمعناه الاستيعابي .

ومنها ، ان الصراعات المستجدة بين عصر وعصر ، كانت على اشكال العيش واساليب التعبير ، كما كانت صراعات سياسية ، شعوبية وفكرية دينية ... ظلت اللغة ازاءها بمنأى عن الحزازات والحركات التي يشهدها زماننا الحاضر من حين لآخر ..

هذا عن الشعر ، ونسبة انتمائه الى العصور .

اما عن النثر وشواهده المتنوعة ، ونسبتها الى الشواهد الشعرية ، فانني قد توصلت الى النسب التقريبية التالية :

١٢٪ آيات قرآنية
١٥٪ احاديث نبوية
٢٠٪ شواهد نثرية مختلفة
٥٣٪ شواهد شعرية ..

وقد حصلت على هذه النسب ، من قراءة صفحة واحدة من كل مائة صفحة من مجمل صفحات (اللسان) (٢٧)

ولعل هذه الاحصائية الثانية تبين بوضوح اكثر ، ما كان الشعر من اهمية وخطورة في بلورة الالفاظ العربية : تركيبا وتوضيحا وشروحا لغوامض معانيها واستعمالاتها المتعددة ...

كما تبين صحة النسب المستنتجة من الاحصائية الاولى ، من ان الشعر الجاهلي احتل نصف الكمية او يزيد ، وان النصف الثاني قد احتله الشعر الاسلامي ، اذ ان معظم الشواهد النثرية الـ ٢٠٪ احاديث لصحابة الرسول او لتابعيهم ، وهكذا ...

٦ ـ قيمة المادة الشعرية

(١) ابرز ما قدمته المادة الشعرية في (لسان العرب) هذه الجمهرة الضخمة من الشعراء الذين وصل تعدادهم حوالى الالف والمائتي شاعر ،

---

(٢٧) اشار عليّ بهذه الطريقة الاب الدكتور ميشال الار ، فهو صاحب الفضل في معرفة هذه النسب ...

ينتسبون ـ كما اظهرت الاحصائية ـ الى العصرين الجاهلي والاسلامي ، وهو دليل على انشاديةالادب انشادا شفويا بمعظمه ، يقوم علىالبديهة او السليقة الشعرية التي تجعل من الكلام المنطوق شيئا متناسقا ، منظوما ، ان لم يكن شعرا فهو نثر مسجع مقفى ..

(٢) بعد ذلك ، يأتي الدور العظيم الذي قام به الشعر في شرح القواعد النحوية والصرفية والمعالم الحضارية القديمة للقبائل العربية وشعائرها ومسمياتها ومنطوقها ...

(٣) كميات الشعر لبعض الشعراء المغمورين، او حتى المعروفين[٢٨] ليست موجودة الا في (اللسان) شانه في ذلك شان معظم المصادر الشعريةالقديمة كالشعر والشعراء ، والمفضليات ، والاصمعيات وجمهرة اشعار العرب والحماستين والاغاني ، وغيرها ... ومثل ذلك لن يدركه الا الدارس الباحث عن اشعار الشعراء المغمورين ، يجمعها من هذا المصدر او ذاك ..

(٤) ورود اعداد كبيرة من ابيات الشعر لرجال ليسوا شعراء ، او بالاحرى شغلوا مناصب وتميزوا بمزايا غير ميزة الشعر ، وعلى راس هؤلاء : الامام علي بن ابي طالب الذي قال ابو عثمان المازني انه لم يصح عنده انه تكلم بشيء من الشعر غير بيتين، قالهما في فريش [٢٩] . ولكن ابن منظور قد ساق لعلي اكثر من عشرين بيتا . ويأتي بعده كل من ابي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان ومعاوية وخالد بن الوليد وبعض الصحابة ، وبعض الرواة والنحاة ، كابن دريد والخليل والاصمعي وحماد وخلف الاحمر ، وبعض النساء بينهن عائشة وفاطمة وبثنية التي قال ابن بري انه لم يحفظ لها غير بيت واحد من الشعر[٣٠] .

ناهيك عن بيت نسب للنبي محمد وهو :

هل الا اصبع دميتِ
في سبيل الله مالقيت ؟ [٣١]

كل ذلك يؤكد قيمة المادة الشعرية وفضلها في كشف مواهب كثيرة ومزايا شعرية متعددة

(٢٨) يستحسن قراءة مقطع شعري لامرىء القيس ـ في مادة (سمط) ـ منظوم على فرد الموشحات الاندلسية . فقد يكون امرؤ القيس الف شعرا توشيحيا قبل الاندلسيين، وبالتالي يكون اكتشافا كبيرا في عالم الادب ..

(٢٩) لسان العرب : ودق .

(٣٠) لسان العرب : حين .

(٣١) لسان العرب : صبع .

٧ ـ طريقة ابن منظور في ايراد الشواهد . ـ حسناتها وسيئاتها ـ

تقوم طريقة ابن منظور اول ما تقوم على استيعاب مضامين المعاجم الخمسة وتسجيلها تسجيلا اوقعه في كثير من الركاكة والملل والاجترار .. وكان بوسعه الاكتفاء بالمعاني العامة المشتركة فيما بينها وذكر ما يستوجب ذكره ، بتنسيق وتسلسل موضوعي مركز .

وفيما يلي محاولة لذكر الخطوط العامة التي جرى عليها صاحب (اللسان) اسوقها على سبيل المثال ، لا الحصر والترتيب :

١ ـ التدقيق في سرد الابيات والحفاظ على اصل روايتها . كايراد البيت الواحد لاكثر من شاعر ، تاركا الاختيار للقارىء . [٣٢]

٢ ـ تقصي المعاني والوجوه المختلفة للشيء الواحد ، حتى ولو كان الامر تكرارا ، كذكر مختلف الاقوال فيه او الشواهد على مظاهره المختلفة [٣٣] مما جعله يفيض من الشواهد الشعرية للمفردة الواحدة [٣٤] .

٣ ـ ايراد شواهده الشعرية بصورة مزاجية ، غير منظمة ، كالبيت الواحد والبيتين ، والمقاطع التي تشتمل على بضعة اشطر ، وفي بعض الاحيان

(٣٢) بيت من الشعر جاء في المعاجم ، لابن احمر ، فاذا به يأتي بشاهد على انه لابن العمرو (خنب) . وبيتان لابي عامر الحضرمي ، يقول ان لهما شبيهين ، لم يذكر ابن بري قائلهما . (ذرب)

(٣٣) راجع : (حلب) عن الحلّب ـ و (حوب) عن الحاجة والمسكنة ـ و (خضب) عن تخضب النعام والظليم ـ و (ربب) عن العالم بالحكمة والالوهة ... الخ ..

(٣٤) ذكر في مادة (حبب) ثلاثة واربعين بيتا شعريا ـ وافرد خمسا وعشرين صفحة لمادة (عرض) ذكر فيها تسعين شاهدا شعريا بينها انصاف الابيات ، وبينها ما هو بيتان وثلاثة واربعة ..
ـ وساق اثني عشر بيتا شعريا لتبيان معنى (الخليط) الذي يعني القوم باجمعهم ، كل ذلك باقل من صفحة واحدة . (خلط) .
ـ واورد قصيدة بكاملها ، قوامها ثلاثة وعشرون بيتا للشاعر نويفع بن نفيع الفقعسي في شرح مادة (مرط) .
ـ واربعة عشر بيتا لشرح معاني كلمة (الكف) ـ راحة اليد ـ (كفف) .
ـ ومثلها تماما لمعنى البنيقة ج : البنائق : عنصر القميص ـ (بنف) .
ـ وعشرون شاهدا شعريا لشرح (انّ) ومعانيها المختلفة ـ (ـ انن) وغير ذلك مما يطول الكلام فيه .

يتضمن الشاهد الواحد قصيدة بكاملها تتجاوز العشرين او الثلاثين بيتا مع عدم التقيد بذكر اصحاب الشواهد ، سالكا في ذلك طرقا لا تخلو من الطرافة والمتعة (٣٥) .

٤ ـ ايراد شواهد بدون ذكر اصحابها ثم ايرادها هي نفسها مع اصحابها ، واستعمال الشاهد الواحد عدة مرات . (٣٦)

٥ ـ تاكيده على انتماء الشاعر الى عصره مع شرح الظرف والمناسبة ، وتعليل اسمه في كثير من الاحيان . (٣٧)

٦ ـ روح الورع والتقوى البادية في كل ما يقول ـ وخاصة ما يتعلق بالصحابة والاولياء ، رجلا كان ام امراة ـ قلما يذكر واحدا منهم الا ويشفع ذلك بعبارة (رضي الله عنه) . (٣٨)

٧ ـ كثرة الاخبار الطريفة وذكره للنابي منها ، اذا استوجبت الواقعة والطرفة ذلك . (٣٩)

(٣٥) ابو صخر الهذلي : اورد له ثمانية ابيات دفعة واحدة : (رمث)
واعشى باهلة : اورد له اربعة عشر بيتا من قصيدة واحدة موزعة على عدة مواضع .
ومحارب الكندي : اورد له اثنين وثلاثين بيتا دفعة واحدة . (كسع)
اما انصاف الابيات ، فيكفي الدلالة عليها شواهد رؤبة ابن العجاج التي بلغت المئات ...

(٣٦) قبب ـ قصب ـ دهمج ـ دهنج ـ جلد ـ حرد ـ زند ـ زبد ـ سطر ـ حدس الخ ...

(٣٧) من اصحاب الشواهد التي علل اسماءهم : ابو قيس بن الاسلت (سلت) والبعيث (بعث) وبشار بن برد (ارج) والعرجي (عرج) والطرماح بن حكيم (طرمح) وابو دؤاد الايادي ـ نسبة الى الدواد ، اي الخفيف الذي يخرج من الانسان (دود) وحماد عجرد (عجرد) والفند الزماني (فند) والشنفرى (شفر) والافيشر (قشر) وطرفة بن العبد (طرف) وابو العتاهية (عته) وغيرهم كثير .

(٣٨) راجع (ثوب) تجد فيها هذه العبارة خمس مرات ، لكل من عائشة وعمرو بن العاص وغيرهم ، (مثل ذلك لا يعتبر طريفة ، بل هو من اخلاق الرجل ، ولكني ذكرته باعتبار شيوعه الكثير في (اللسان) .

(٣٩) راجع قصة (عرقوب) احد عمالقة يثرب في (عرقب) ـ وقصة النبي محمد مع رجل اسمه : ابخشة في (فرد) وهلال بن عامر بن صعصعة في (مدر) وقصة البسوس ـ المراة الاسرائيلية في (بسس) وقصة براقش في (براقش) وطرفة ابي الدقيش ، في (دقش) .... اما عن الاقوال والامثال وما شابه ، فيمكن مراجعة الجذور التالية : (لبب) عن معنى : لبيك و(نكب) عن الارياح الاربع ، و (سبت) عن يوم السبت ، و (سمت) عن التسميت : الدعاء للعاطس ، و (عقب) عن اسماء النبي محمد ـ

ولعل هذه الناحية ، اكثر النواحي امتاعا وتشويقا ، ولا غرو ، فهناك عشرات ، بل مئات الطرف والحكايات الغريبة ، اوردها ابن منظور في ثنايا (لسانه) قد لا نجدها في غيره ـ كذلك الامثال والاقوال الصادرة اثر مواقف وحالات معينة ، خلدتها وجعلت منها عبرا وازمانا خالدات(٣٩)

٨ ـ فوات ابن منظور

لم اشأ تجاوز ما وقع فيه صاحب (اللسان) من قصور واخطاء علمية ولغوية ، جعلت هذا المعجم قليل التكيف والاستيعاب والمواكبة لكثير من المصطلحات والمعاني والحالات التي عرفتها العربية طيلة قرون سبعة او ثمانية ، سبقت حياة ابن منظور . فلا يجوز والحالة هذه ان يكتفي هذا الاخير بما اورده السلف في معاجمهم ، ولا ياخذ بلباب ما حصلته اللغة من تفاعل حضاري سليم ، لا سيما وقد حاول ابن منظور الا يكون سلبيا حيال المعاجم السابقة ، بل كثيرا ما تدخل ، فعدل واضاف وخطا وشرح ، وكان في ذلك موفقا .

فكم كان فضله اعم واعظم ، لو اعمل فكره ونظره في ما نقل وجمع ، فابقى على الموروث الحي من الكلم واغفل الممات وهو كثير جدا في معجمه ! واذا كان ذلك امانة للاسلاف من اصحاب المعاجم اي الابقاء على كل ما تداولته الالسن العربية القديمة ـ البدوية او الحضرية ـ فانه ايضا اساءة الى اللغة ـ الكائن الحي الذي تتجدد فيه الحياة باستمرار عن طريقين اولهما توالد عناصر جديدة تحمل كل مقومات الحياة والبقاء ، وثانيهما موات كل ما هو فانٍ لا قيمة له ولا حاجة ... وليست العبرة في ما نحافظ عليه بقدر ما هي في نوع ما نحفظ واهميته وفائدته . الم يكن بمقدور ابن منظور الاقتداء بجاد الله الزمخشري ، صاحب « اساس البلاغة » والاختيار الافضل ، مع التوسع والشمول والاستقصاء وفقا للحاجة والفائدة ؟

ومهما يكن ، فانني هنا لست في موقف الناقد القاضي لاسوق التهم والاحتجاج ، وليس لاحد الحق في ان يحاكم ابن منظور وامثاله ممن عم فضلهم على الاجيال ، وانما هي ملاحظات رمت من ورائها الاشارة

وعن الامثال ، (غبب) و (غرب) وهكذا وللمزيد من التعرف الى الطرائف والاقوال ، يمكن مراجعة الجذور التالية : برد ـ جود ـ حمد ـ زرد ـ زبد ـ امر ـ شكر ـ ضبر ـ ثلث ـ سجسج ـ بلع ـ ذحح ..

والتنبيه الى ما كان يمكن فعله او تداركه سواء بالنسبة لابن منظور ام غيره ، في ظروف اجتماعية ملائمة ... ومن هذه الملاحظات ما يلي :

١ ـ لم يأت ابن منظور على ذكر الشاعر جرير اطلاقا ، وهو يشرح ـ في احدى عشرة صفحة ـ معاني مادة (جرر) ووجوهها ومشتقاتها .

٢ ـ في كلامه على (فكر) لم يفرد اكثر من نصف عمود ، وهي التي تتطلب صفحات عديدة وشروحا بعيدة .

٣ ـ في كلامه على (جوز) افرد خمس صفحات ونصف ، ولم يأت على ذكر المجاز في اللغة .

٤ ـ في كلامه على (نشز) لم يذكر النشاز الذي يظهر في تداخل الانغام ، رغم بلوغ الموسيقى العربية نهضة واسعة في فترات متقدمة على زمان ابن منظور .

٥ ـ في شروحه لمادة (رفض) اكتفى بمعنى الترك ، لكلمة الرفض ، وكان لم يعرف الرفض ـ بمعناه التمردي الثوري ـ الا في زماننا الحاضر ..

٦ ـ في مادة (فلسف) لم يزد على هذه الكلمات : « الفلسفة : الحكمة ، اعجمي . وهو الفيلسوف ، وقد تفلسف » . هذا كل شيء عنها ، اليس هذا (اساءة) الى اللغة العربية ومضامينها المتجردة ؟ ...

٧ ـ في كلامه على (شغل) اورد كل صيغ الكلمة ومشتقاتها ، ولم يذكر مرة واحدة معنى هذه الكلمة او مرادفها .

٨ ـ في كلامه على المفاعيل ، سها عن ذكر المفعول معه . ولكنه ذكر مفعولا جديدا هو المفعول عليه : (علوت السطح ـ ورقيت الدرجة) (٤٠)

٩ ـ استعمل في شاهد بحر الرمل ، بيتا على بحر الرجز . وقد عمّم معنى الرمل فقال : « الرمل كل ما كان غير القصيد من الشعر وغير الرجز ، وما كان مضطرب البناء » ولا ادري سبب هذا الكلام الذي لم اجد له اصلا ومرجعا في دراساتنا العروضية .

١٠ ـ في كلامه على (نجب) لم يأت على ذكر (المنتجب العاني) الشاعر الصوفي الذي عاش في القرن الخامس الهجري،مع انه شرح معنى المنتجب، فقال : المصطفى المختار من كل شيء ..

١١ ـ في كلامه على (ولب) و (درح) و (وضح) لم يذكر اسماء الشعراء : والبة بن الحباب ، وقيس ابن ذريح ووضاح اليمن ...

وهكذا ، مما يستغربه القارىء ، ويستبعده في نفس الوقت ، لان مثل هذه السقطات او «الفوات» ـ كما افضل تسميته ليس من النوع المستعصي ، او الذي لا يمكن تداركه .. وقد اوضح ابن منظور نفسه ، ان معجمه لم يظهر للوجود بسهولة ، فقد كان له مسودات بين يديه ، مما يدل على الاعداد الكامل ، والجهد الطويل في عمله(٤١) .

---

(٤٠) لسان العرب : (فعل) .
(٤١) لسان العرب (سكندر) .